الإشاريات التداولية في تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (ت ٥١٠هـ)

The pragmatic signs in the Interpretation of the Signs of Revelation in the Interpretation of the Qur'an by Al-Baghawi (d. 510 A.H.)

أ.د.منى عدنان غني
Prof. Mona Adnan Ghani

م.م.نبراس صالح عبد
Nibras Saleh Abd

كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت
College of Education for Girls- Tikrit University

الكلمات المفتاحية:

الاشاريات، التنزيل، التداولية، اللغوي، المقاصد

Keywords:
indicative, download, pragmatic, linguistic, purposes

الملخص

يعمد البحث إلى التداولية الإشارية منهجًا لتحليل الخطاب التفسيري للقرآن الكريم في سعي حثيث للاقتراب من المقاصد التبليغية للخطاب الديني، وقراءة الموروث اللغوي العربي قراءة وفق منجزات نقاد الحداثة للألفاظ الإشارية الشخصية بقسميها: الحسية والذهنية، والإشاريات المكانية، والزمانية في سياقاتها التلفظية.

Summary

The research adopts descriptive pragmatics as a method for analyzing the explanatory discourse of the Holy Qur'an in a relentless pursuit to approach the informative purposes of religious discourse, and to read the Arabic linguistic heritage, a reading according to the achievements of modernity critics of personal denoting words in its two sections: sensory and mental, spatial and temporal signs in their verbal contexts.

المقدمة

تعد التعابير الإشارية وسيلة من وسائل التنظير التداولي في البحث اللغوي المعاصر، حيث يقام من خلالها بتتبع الأثر الذي تحيل إليه تلك الإشارات للوصول إلى آفاق النصوص وما تروم إليه، وقد تناولتها التداولية بشكل أساسي لتكون أحدى منطلقاتها في البحث والتنقيب، وقد تظافرت جهود اللسانيين الرامية إلى تعميق الفهم بالقضايا التداولية التي يثيرها البعد التداولي الإشاري، علمًا أنَّ البدايات الأولى للتداولية اللسانية ارتبطت بهذا المكون[1] ولقد عمد البحث إلى قراءة التراث العربي قراءة عصرية وفق الآليات الإشارية التداولية؛ لإبراز توجهات لغة العرب القدماء، والكشف عن طروحاتهم اللغوية، وبيان مدى التقارب، والتشاطر الفكري مع الطرح اللغوي الغربي المعاصر، وذلك بالوقوف على الخطاب التفسيري للقرآن الكريم في كتاب معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي رحمه الله (ت٥١٠ه)، كون الخطاب التفسيري أقرب قراءة للقرآن الكريم، فالعلوم تنال شرفها من شرف ما تعلقت به، فكانت هذه الدراسة محاولة للكشف عن تلك المستجدات اللغوية في التفسير الذي فاض بمفاهيم تلك الإشاريات وآلياتها الخطابية.

(1) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها ٧٦.

مفهوم الإشاريات Endexicals[1]

الإشاريات بوجه عام "عبارة عن علامات مُحيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ وهو فعل يقتضي متلفِّظًا يتوجه بخطابه إلى مخاطَب ضمن إطار زماني ومكاني محدد لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظٍ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى"[2].

وتستلزم الإشاريات وجود مراجع لا تظهر إلا في تسييقها أي: وضع الوحدات الإشارية في سياق ليتضح معناها؛ وذلك لأنَّ الإشاريات تخلو من الاستقلال الإحالي؛ "لأنَّها خالية من الإحالة الاحتمالية أي: ليس لها دلالة معجمية"[3] فهي خالية من أي معنى في ذاتها كأسماء الإشارة والضمائر وغيرها، فعلى الرغم من أنَّها ترتبط بمرجع إلا أنَّه غير ثابت[4]، وإنَّما تكتسب معناها من محيط استعمال العلامة اللسانية وارتباطها بظروف الاستعمال[5] لذا عرَّفها بعضهم بأنَّها "تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم"[6]، وعلى هذا فهي متغيرة بحسب متطلبات السياق، فعُدت مفهومًا "لسانيًا تتغير مساهمته الدلالية بتغير سياق التلفظ قصد إنجاز وظيفة إحالية معينة؛ ذلك أنَّ النسبة السياقية لهذه العبارات تؤثر في إحاليتها"[7].

ولا يقف دور الإشاريات على الوحدات الظاهرة في السياق التداولي، بل يتجاوزها إلى الوحدات الإشارية ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات الكامنة في بنية الخطاب

---

(1) كان الفيلسوف بيرس أول مستعمل لمصطلح (الإشارة)، و(العلامة الإشارية)، بينما استعمل روسل تعبير (الأنوية الخاصة)، أما فيومين فاستعمل (دليل الذاتية)، واستعمل كودمان اصطلاح (الدليل)، وأتى رايشنباخ باصطلاح (العالم الرمزي التأملي)، ينظر: المقاربة التداولية ٤١، وتسمى كذلك بـ (المعينات)، ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ١٥١.

(2) التداولية أصولها واتجاهاتها ٧٦.

(3) القاموس الموسوعي ١١٠.

(4) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٠.

(5 ينظر: التداولية امتداد شرعي للسيميائية (بحث)، أ. عبد الحكيم سحالية ٤٢٣.

(6) استراتيجيات الخطاب ٨١.

(7) الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي ٤٤١.

العميقة عند التلفظ، ممَّا يعطيها الدور التداولي في استراتيجية الخطاب؛ لأنَّ حدث التلفظ يحدث من ذاتٍ بسمات معينة وفي زمان ومكان معينين وهما مكان التلفظ ولحظته إذ تجتمع في الخطاب الواحد في الأقل الإشاريات الثلاثة (الأنا، الهنا، الآن)[1].

وللإشاريات دور مهم في حيوية التواصل الإنساني يقول د. محمود أحمد نحلة: "ويلفت ولفنسون إلى أنَّ التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأنَّ اللغات الطبيعية وُضعَت أساسًا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه"[2].

وحصرها بعض الباحثين التداوليين في ثلاثة أقسام: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية[3]، وأضاف ولفنسون إلى ذلك الإشاريات الاجتماعية، والإشاريات الخطابية[4]، ولكل قسم منها دوره في عملية التخاطب، ولا يخلو أي خطاب من هذه الإشاريات أو واحدة منها في الأقل، واقتصرت الدراسة على الإشاريات الثلاثة الأكثر شهرةً (الشخصية، والزمانية، والمكانية)، إذ ظهرت ملامحها في مدونة البغوي رحمه الله بصورة جلية واضحة وفق الاستراتيجيات التداولية الحديثة ممَّا يدل على سبق العرب في الميدان.

أولًا: الإشاريات الشخصية Personal deictics

وهي الإشاريات التي تُحيل إلى الذوات المتكلمة، أو المخاطِبة، أو الغائبة، متمثلة في الضمائر الدالة على هذه الأصناف، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق فقد تصدر عدة خطابات عن الشخص نفسه فيتغَّير السياق تبعًا لتغُّير الخطاب وإن كان صادرً من متكلم واحد، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب التداولي؛ لأنَّ (الأنا) قد تحيل على الإنسان ذاته، أو المعلم، أو الأب وغيرهم[5].

(1) يُنظر: استراتيجيات الخطاب ٨١.
(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٦.
(3) يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها ٧٨، واستراتيجيات الخطاب ٨١.
(4) يُنظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ٨٧.
(5) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٢.

وممارسة حدث التلفظ هي التي تدل على المرسل (الأنا) في البنية الخطابية العميقة مما يجعله يرد في كل خطاب ؛ لهذا هو لا يظهرها في خطابه في كل آن ؛ لأنَّه يعوِّل على حضورها بالقوة وهذا ما يعطي المخاطَب كفاءة تداولية تساعده على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلًا مناسبًا تبعًا لمتطلبات السياق[1]، وقد كان للنحاة العرب سبقٌ في الميدان على التداوليين يقول سيبويه رحمه الله : "وإنَّما صار الإضمار معرفة لأنك إنَّما تُضمِر اسمًا بعد ما تعلم أن مَن يحدِّث قد عرف مَن تعني وما تعني ، وأنك تريد شيئًا يعلُمهُ"[2]، يريد استحضار المرجع الشخصي في ذهن المتلقي مباشرة من خلال الإحالة الضميرية في العملية الخطابية ؛ لأنَّ الإضمار يظل رهين قرينة التلازم الذهني بين الأطراف المتخاطبة يقول ابن يعيش رحمه الله : "فأعرفُ المضمراتِ المتكلمُ ؛ لأنَّه لا يوهمك غيره ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة"[3]، ولا خلاف في ذلك بين النحاة العرب والتداوليين يقول د. محمود أحمد نحلة "أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص هي ضمائر الحاضر ، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على التكلم وحده مثل أنا أو المتكلم ومعه غيره مثل نحن"[4].

وتعد الإشارياتُ الشخصيةُ الضمائر من المبهمات ؛ لأنَّ "الذي وُضع لتعيين المسمى إنَّما هو العلَم وأمَّا باقي المعارف فإنَّما وضعت كُلِّيَّات ، ثمَّ بالاستعمال يتعيَّن المسمى لا بالوضع"[5] وإنَّما يلازم تعيينها قرينةٌ ، باعتبارها شرطًا أساسيًا لدلالتها على معيَّن ، وقرينة تحديد الضمائر هي التكلم ، أو التخاطب ، أو الغيبة فالضمير (أنت) مثلًا لا يُفهم إلا بقرينة حضور المتلقي ومواجهة المتكلم حقيقة أو تقديرًا فيما يستقبل من الزمن[6] من هنا يتبين البعد التداولي للإشاريات الشخصية فهي رهينة الاستعمال في تحديد مرجعيتها ليتبين معناها ، يقول محمود أحمد نحلة : "وقد نبَّه بيرس إلى أنَّ الإشاريات ينبغي أن تكون محددة المرجع بتحقق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه على أنَّه قد ينشأ

(1) ينظر : المصدر نفسه.
(2) الكتاب باب ((هذا باب مجرى نعت المعرفة عليها)) ٢ / ٦.
(3) شرح المفصل ٣/ ٨٣–٨٤.
(4) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٦ –١٧.
(5) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٣/ ١٢٩.
(6) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١١٠–١١١ ، والتأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية (بحث) ، دلخوش جارالله حسين ، مجلة جامعة زاخو ، مجلد ٣ ، العدد٢ ، (٢٠١٥م) ، ٤٥٠.

نوع من اللبس في استخدام الضمائر إذا تعددت مراجعها، أو تبادل كل من المتكلم والمخاطب أدوار الكلام فأصبح المتكلم مخاطبًا والمخاطب متكلمًا أو نقل متكلم كلامًا لمتكلمٍ آخر، كأن يقول رجل: يقول زيد أنا قادم الليلة / هو قادم الليلة وقد جعل ذلك بعض اللغويين يفرق بين المتكلم والمصدر الذي ينقل كلامًا كلَّف بنقله لآخر، وقد يكون لضعف القرينة التي تعين على تحديد المرجع أثرٌ في غموض الكلام أو وقوع اللبس[1]. ولقد ارتأينا تقسيم النحاة العرب للإشاريات الشخصية إذ هي عندهم على قسمين: إشاريات شخصية حسية، وإشاريات شخصية ذهنية[2].

أ- الإشاريات الشخصية الحسية.

وهي الإشاريات التي تُحدد مرجعيتها عن طريق الواقع الملموس، والتي يتم تلقيها عن طريق الجوارح والأعضاء[3]. ومن الإشاريات الشخصية الحسية ضمائر التكلم والخطاب، والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، والنداء؛ لإمكانية الإشارة بها إشارة حسية[4].

١- ضمائر التكلم (أنا – نحن).

❖ (أنا). قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿الأنعام: ٥٦﴾.

قال البغوي رحمه الله: "في عبادة الأوثان وطرد الفقراء ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعني: إن فعلتُ ذلك فقد تركتُ سبيل الحق وسلكتُ غير طريق الهدى"[5]، رد البغوي النص إلى شخص النبي ﷺ كأنه المتكلم (فعلتُ، تركتُ، سلكتُ)، فاستحضر مشهد المخاطبة بين النبي ﷺ والكفار آنذاك باستشعار دلالة

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٨– ١٩.
(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٧٢، وحاشية الصبان ١/ ٢٠٢.
(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٧٢، وحاشية الصبان ١/ ٢٠٢.
(4) ينظر: مقاربات تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت ٣٣٨هـ)، علاء سامي، (رسالة ماجستير) جامعة المثنى / كلية التربية، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م) ١٧.
(5) معالم التنزيل ٣/ ١٤٩.

الحضور في الوحدة اللغوية (أنا) ؛ لانَّه قد أُمِر ﷺ بمخاطبة الكفار وإخبارهم بأنَّه قد نُهي عن عبادة ما يدعونه ويعبدونه من دون الله تعالى[1]، ففهم البغوي رحمه الله الإشارة الحسية التي أشار بها النبي ﷺ، إلى نفسه الشريفة وهو يخاطب أولئك القوم ويُبين لهم سوء العاقبة لمن اتبع غير سبيل الهدى، فيدلّ على أنَّه إن فعل ذلك يخرج عن حاله التي هو عليها إلى غير ذلك[2]، فكأنَّ النص يشير للمتلقي التصوير الواقعي للمخالف لطريق الهدى بإشارة حسية وهي ذات النبي ﷺ، وذلك الإدراك للبغوي رحمه الله منوط بالوحدة اللغوية الإشارية (أنا) الواردة في النص ضمن السياق الذي وردت فيه.

والإحالة التي حددها البغوي رحمه الله إحالة خارجية مقامية على غير مذكور داخل النص[3] إذ الإحالة إلى شخص النبي ﷺ وإن لم يرد ذكر اسمه صريحًا في النص الكريم، وهذا ملمحٌ تداولي ؛ لأنَّ الضمائر "من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي ؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها"[4].

ومن الإشاريات الشخصية الحسية التي تُلمح في النص ذاته الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، قال البغوي رحمه الله: "في عبادة الأوثانَ"[5] وهي إشارة حسية إلى موجود في الواقع الحسي لذا جاء تفسير البغوي رحمه الله وفهمه له حيال الموجودات وهي (الأصنام) التي تُعبد من دون الله تعالى آنذاك، وإنَّما أجرت الوحدة اللغوية (الاسم الموصول) خطاب العقلاء في النص على غير العقلاء (الأصنام) ؛ لأنَّهم أي: الكفار عاملوهم معاملة العقلاء فجاء النص بما يحكي اعتقادهم، أو لانَّهم عبدوا الجنَّ وبعض البشر فجاء النص من باب تغليب صفة العقلاء من معبوداتهم[6].

(1) ينظر: فتح القدير ٢/ ٤٢١.
(2) التحرير والتنوير ٧/ ٢٦٣.
(3) وهي إحالة إلى مقام خارج النص اللغوي غير مذكور في النص مطلقًا عبر عنصر إحالي مقيد بسياق الموقف، ينظر: الإحالة في نحو النص ٣٧ –٤٣، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ١٢١، والترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ١٦٥.
(4) استراتيجيات الخطاب ٨٠، وينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة ٦٠.
(5) معالم التنزيل ٣/ ١٤٩.
(6) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ٢٢٦.

❖ (نحن). قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ الدخان: ﴿٣٤-٣٥﴾.

قال البغوي رحمه الله: "أي لا موتة إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها، وهو قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين بعد موتتنا"[1].

في كلام البغوي رحمه الله استيعابٌ للإشارة الحسية بضمير التكلم الجمعي (نحن)، إذ نراه يُحدد مرجعها من خلال السياق الذي وردت فيه تلك الوحدة اللغوية، وهم أولئك الكفرة المتقولون بعدم البعث والنشور في الآخرة، وتحديد المرجعية "دليلٌ لغوي يؤمِّن الرابط بين المفهوم والصورة السمعية"[2]، وأصل الكلام في كفار قريش[3] فأصَّل البغوي رحمه الله الكلام على أساس الإطار السياقي العام للآية ملتمسًا مرجع الإشارة اللغوية، وهي إشارة حسية إلى أنفسهم جاءت لتأكيد الكلام السابق للوحدة اللغوية[4]، فهم المتكلمون وهم المخاطبون في الوقت نفسه، إذ إنَّ هذه الضمائر "تُمكِّن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه"[5]، فإسناد اللغة في هذا المقام لهم مكنت البغوي رحمه الله من فهم الاستراتيجية الخطابية والتماس مرجع الإشارة الحسية، والإحالة التي أوردها البغوي رحمه الله إحالة خارجية مقامية خارج النص[6] وهم كفار قريش فمثَّل العنصر الإشاري هؤلاء من داخل النص اللغوي؛ لأنَّ ضمائر التكلم والخطاب تُفهم في سياقها الخارجي، ولا تتحقق إلا في استعمالها، وتستحضر المحال إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقاصدية تتصل بالسياق اللفظي والخارجي ووظيفتها الدلالية من المؤكدات؛ لأنَّها مدعمة بالواقع المادي الخارجي وفائدتها الاختصار في اللفظ؛ لاستغنائها عن ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ[7].

(1) معالم التنزيل ٧/ ٢٣٣.
(2) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ٢٦.
(3) ينظر: فتح القدير ٦/ ٤٣٠.
(4) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١/ ٣٨٣٢.
(5) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ٣٢.
(6) ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ١٦٥، وتحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ٢٣١.
(7) ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ٢٣١.

٢- اسماء الإشارة.

تعدُّ أسماء الإشارة من الأدوات الإشارية المبهمة رغم كونها من صنف المعارف[1]؛ لأنَّها وحدات لغوية يكتنفها غموض في المحيل إليه فيلتبس على المخاطِب مرجع الإشارة[2]، فقولنا مثلًا: (هذا الكتاب مفيدٌ) فالناظر إلى الجملة سيدرك الترابط بين الإشارة (هذا) والمشار إليه (الكتاب)، وسيرى أنَّ العنصر الثاني كشف الغموض الذي يحمله اسم الإشارة، فلو أفرد الكتاب من غير اقترانه باسم إشارة حسية لصلُح لأفرادٍ كثيرين[3] لهذا "لزمها البيان بالصفة عند الإلتباس"[4]، لذا يرى بعض التداوليين أنَّ إزالة هذا الإبهام يكمن في تلفظ هذه المبهمات في سياق يحضره الأطراف المتخاطبة حضورًا عينيًا، أو حضورًا ذهنيًا لأجل إدراك مرجعها[5]، وعلى ذلك فهي تبقى رهينة الاستعمال وهو الذي يؤهلها ويجعلها قادرة على الإحالة إلى خارج[6].

ومن أسماء الإشارة التي تدور رحاها حول تلك المفاهيم التداولية عند البغوي رحمه الله – (أولئك) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿هود: ١٨﴾.

قال البغوي رحمه الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ فزعم أنَّ له ولدًا أو شريكًا، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿أُوْلَئِكَ﴾ يعني: الكاذبين والمكذبين «يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ» فيسألهم عن أعمالهم»[7].

(1) ينظر: الكتاب ٢/ ٥، والمقتضب ٤/ ٢٧٧، ولعل هذا التناقض متأتٍ من كونها معارف استعمالية وليست من المعارف الوضعية فهي خارج التركيب مبهمة وداخل التركيب معرفة، ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ٢/ ١٠٥١.
(2) ينظر: شرح المفصل ١٢٦.
(3) ينظر: الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى ١٥٦– ١٢٥٧.
(4) شرح المفصل ٣/ ١٢٦.
(5) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٠.
(6) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ٢/ ١٠٥١.
(7) معالم التنزيل ٤/ ١٦٨.

في قول البغوي رحمه الله: بيانٌ للإشارة الحسية في اسم الإشارة، إذ هي إشارة إلى موصوف بصفات من وُجِّبت لهم النار؛ لافترائهم على الله تعالى الكذب، وهو ادعائهم لله سبحانه ما لا يليق به[1] ففي اسم الإشارة تنبيه على أنَّهم أحرياء بالذي سوف يرد بعده من الخبر بسبب ما قبله من الوصف وهو أشد الظلم، فأذِنَ اسم الإشارة معنى تعليل ما قبله فيما بعده لذا كان عرضهم على الله تعالى عرض زجرٍ وانتقام [2]، فكان تحديد البغوي رحمه الله مرجع الإشارة (المكذبين)؛ نظرًا لارتباط اسم الإشارة بسياقه السابق واللاحق؛ لأنَّ أسماء الإشارة وحدات لغوية غير كافية وحدها لأداء المدلول عليه، إنَّما يلزمها بيان وتوضيح، وتفسير، وتحديد؛ لذا كان من اللازم أن يكون المشار إليه حاضرًا متعينًا[3] لإزالة الإبهام الذي يكتنفها فاسم "الإشارة لا يزول إبهامه إلا بما يصاحب لفظه من إشارة حسية"[4]، يقول الرضي رحمه الله: "اسم الإشارة من غير إشارة حسية إلى المشار إليه مبهم عند المخاطب"[5].

فكان ذلك دليل على أنَّ المراد بها الإشارة الحسية في النص كما أوردها البغوي رحمه الله، والإحالة التي وردت في النص إحالة خارجية (مقامية) كون المحال إليه غير مذكور داخل النص[6]، إنَّما فهمه البغوي رحمه الله من خلال السياق السابق واللاحق لاسم الإشارة؛ لأنَّ أسماء الإشارة تحيل على المقام التواصلي عن طريق القرائن الإشارية[7].

ب- الإشاريات الشخصية الذهنية.

وهي الألفاظ الإشارية المعتمدة على الحقيقة المتكونة في العقل[8]؛ لذا فهي تعتمد على الصورة الذهنية المتكونة في العقل دون رؤية الواقع الملموس لها عبر إحدى

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٧٩، وتفسير المراغي ١٢/ ٢٠.
(2) ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٣٢-٣٣.
(3) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ١٤٤.
(4) النحو الوافي ١/ ٣٣٩.
(5) شرح الرضي على الكافية ٣/ ٢٤٠.
(6) ينظر: النص والخطاب والإجراء ٣٣٢.
(7) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة ٦٧.
(8) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١/ ١٨٠ (الهامش).

الإشاريات إليها في النص، وبعبارة أخرى هي إشارة دال في الواقع إلى مدلول غير مرئي للمتلقي، ومن ذلك:

١- ضمائر التكلم (نحن– ـنا).

قد يأتي في الاستعمال اللغوي استعمال ضمائر التكلم منفصلة ومتصلة نحو: (نحن– نا) إشارة للمعظم نفسه[1] ضمن إشارات ذهنية إي: لا تُشير إلى محسوسٍ ملموسٍ، بل تعطي سمة خاصة تستقر في العقل مع استحالة المشاهدة، أو إمكانٍ التصور الذاتي لمرجعها، وقد وردت هذه الضمائر عند البغوي رحمه الله على النحو الآتي:

❖ ضمير التكلم (نحن) الدال على المفرد المعظم نفسه.

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿الأنعام: ١٥١﴾.

قال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي: لا تئدوا بناتكم خشية العَيلة، فإنَّي رازقكم وإياهم"[2]، ينوه البغوي رحمه الله إلى مرجع الإشارة في القول الكريم (نحن) وهي إشارة المفرد المعظم نفسه سبحانه بضمير الجمع. فقول البغوي رحمه الله: (فإنَّي رازقكم وإياهم)، دلالة فهمه الذهني أنَّ المرجع هو الله تعالى، وهي إشارة ذهنية محلها الإدراك العقلي المستوحى من السياق العام للآية إذ الإيجاد والرزق له وحده سبحانه، وإنَّما "عدل عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام من قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى طريق التكلم بضمير ﴿نَرْزُقُكُم﴾ تذكيرًا بالذي أمر بهذا القول كُلِّه، حتى كأنَّ الله –تعالى– أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام رسوله الذي أمره به، فَكَلَّمَ الناس بنفسه، وَتَأْكِيدًا لتصديق الرَّسُول صلى الله عليه وسلم"[3]، وقد كان فهم البغوي رحمه الله في تحديد مرجع

(1) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤١٠.
(2) معالم التنزيل ٣/ ٢٠٣.
(3) التحرير والتنوير ٨/ ١٥٩.

الضمير فهمًا تداوليًا ضمن حقل الإشاريات وهو الذي يراه التداوليون ضمن الإشاريات المستعملة في المعظِّم نفسه لعلوٍ في المنزلة كالملوك ومن في حكمهم[1].

ومن الجدير بالذكر أنَّ إطلاق لفظ الإشارة الشخصية في حق الذات الإلهية أمرٍ منافٍ لصفاته سبحانه إذ هي لفظة تُطلق على "الإنسَانِ إذَا سَما لَكَ مِن بُعدٍ"[2]، بل يُقال عنه سبحانه: إشارة ذاتية والله أعلم.

❖ ضمير التكلم المتصل (نا).

إنَّ "للأفعال المستندة إلى ضمير الإحالة (ضمير المتكلم الجمع الدال على الذات الإلهية) دلالات ينسبها الخالق لنفسه"[3] سبحانه، وتأخذ هذه الوحدات صبغة إشارية تداولية بحسب السياق الذي ترد فيه، وقد التمسها البغوي رحمه الله على نحو ذلك في مواطن عدة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ﴿الحجر: ٢٢﴾.

قال البغوي "أَي: جعلنا المطر لكم سقيًا، يُقَالُ: أَسقَى فُلَانٌ فُلَانًا: إذَا جَعَل لَهُ سَقيًا، وَسَقَاهُ: إذَا أَعطَاهُ مَا يَشربُ. وَتَقُولُ العَرَبُ: سَقَيتُ الرَّجُلَ مَاءً وَلَبَنًا إذَا كان لسقيه"[4].

يُنظِّر البغوي رحمه الله المعنى العام للآية وإيعازها لله تعالى وحده من خلال تحديد مرجع الوحدة الإشارية (نا) في اللفظ الكريم ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ وذلك قوله: أَي: "جعلنا المطر لكم سقيًا" وهي إشارة ذهنية للذات الإلهية ولتتضح الصورة لدى المتلقي ربطها البغوي رحمه الله بالواقع المحسوس وذلك قوله: "يُقَالُ: أَسقَى فُلَانٌ فُلَانًا: إذَا جَعَل لَهُ سَقيًا، وَسَقَاهُ إذَا أَعطَاهُ مَا يَشربُ" ويقيس ذلك على قول العرب في ذلكَ: "وَتَقُولُ العَرَبُ: سَقَيتُ الرَّجُلَ مَاءً وَلَبَنًا إذَا كان لسقيه فَإذَا جَعَلُوا لَهُ مَاءً لِشُربِ أَرضِهِ وَدَوَابِّهِ"، والحديث في النص الكريم عن الذات الإلهية فمن اللازم أنَّ ضمائر التكلم سواء بصيغة

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب ١٩٣.
(2) مقاييس اللغة، مادة (شخص)، ٣/ ٢٥٤.
(3) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ١١٤–١١٥.
(4) معالم التنزيل ٤/ ٣٧٦.

المفرد، أو الجمع تعدُّ وحدات مُحيلة للذات الإلهية الواجدة في الأزل خارج النص[1] إذ أحال العنصر اللغوي إليه سبحانه إحالة مقامية خارجية[2] فإنَّ معنى المرجع في الإحالة لغير مذكور... في عالم النص مع التركيز على عالم الموقف الإتصالي[3] فمن الاستحالة إدراج هذه الوحدات ضمن الوحدات المحسوسة، ومحاولة البغوي رحمه الله ربط هذه الوحدة بالواقع الحسي دليل فهمه أنَّها إشارة ذاتية ذهنية، وهو منطلق إشاري ينتسب إلى الحقل التداولي الوظيفي؛ لأنَّ انتساب الإشاريات للتداولية قائم على العلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي ترد فيه[4]، وهذا ما سماه تمام حسان بـ(رعاية التداولية)[5].

٢- ضمائر الخطاب (ضمير المخاطب أنتَ).

قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَنَ تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿الأعراف: ١٥٥﴾.

قال البغوي رحمه الله: "﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ ناصرنا وحافظنا"[6]. لقد فسَّر البغوي رحمه الله قول موسى صلى الله عليه وسلم تفسيرًا إشاريًا تداوليًا من خلال ضمير الإشارة (أنت)، وهو من الضمائر الإشارية الحسية التي تتطلب قرينة المشاهدة في العملية الخطابية وبالتالي فإنَّ الإشارة فيه لا تكون إلا حسية، بيد أنَّ الإشارة التي يحملها ضمير المخاطب هنا مرجعها الله سبحانه لذا فمن المحال عدُّها من المحسوسات، إنَّما هي إشارة ذهنية حاضرة في ذهن موسى عليه السلام وقت الخطاب لاستشعاره منزلة القرب منه سبحانه كأنَّه يقول: "ونحن في حضرتك قد انقطعنا إليك وحططنا رحال افتقارنا لديك"[7] وهي منزلة اعتادها النبي

(1) ينظر: الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير (رسالة ماجستير)، الزهرة توهامي، معهد الآداب واللغات / قسم اللغة والأدب العربي، (٢٠١٠– ٢٠١١م) ٤٥.
(2) ينظر: نسيج النص ١١٩.
(3) النص والخطاب والإجراء ٣٣٢.
(4) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٢.
(5) ينظر: اجتهادات لغوية ٢٢٦.
(6) معالم التنزيل ٣/ ٢٨٧.
(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ١٠٣.

موسى عليه السلام ؛ لأنَّه نبي خُصَّ بالكلام مع الله تعالى قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ ﴿النساء: ١٦٤﴾ ، وبهذا خالف الضمير النظام اللغوي الذي وضع لأجله حيث اعتمد التفسير على النظام التداولي، فرعاية "النظام شيءٌ ورعاية التداوليات شيءٌ آخر من ذلك مثلًا: مخاطبة الغائب بضمير المخاطب، ويكون ذلك باستحضار الغائب بالتجريد الذهني لمخاطبته لأمر يهم المتكلم"[1]، والنبي موسى عليه السلام حين أشار إلى الله تعالى بالضمير (أنتَ) لم يرد منه الإشارة إلى محسوس سبحانه بل إيمانًا غيبيًا به، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿الأنبياء: ٤٨– ٤٩﴾ فخشية الله تعالى بالغيب دليل اعتقادهم عليهم السلام به سبحانه دون الرؤية العينية، قال القرطبي رحمه الله: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: غائبين؛ لأنَّهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أنَّ لهم ربًا قادرًا، يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس"[2].

وتحديد مرجع الإشارة التي فهمها البغوي رحمه الله من المنطلقات التداولية؛ لأنَّ تحديد المرجعية في الإشاريات التداولية هي الوظيفة التي تُمكِّن الدليل اللغوي من الرجوع إلى موضوع في عالم غير لغوي واقعًا كان أم خيالًا[3].

وقد سبق فيه البغوي رحمه الله التداوليين؛ لأنَّ الضمير (أنتَ) "لا يقف استعماله في السياق عند الإحالة على المرجع فقط بل يتجاوز ذلك فيصبح مؤشرًا على غرض تداولي"[4].

وعلى هذا فإنَّ معنى الإشارة بالضمير (أنتَ) يبقى رهين الاستعمال، وهذا ما تنص عليه التداولية، وإنَّما يكون ذلك لاختلاف المواقف بين المتكلم والمخاطب[5]، التي

(1) اجتهادات لغوية ٢٢٦.
(2) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٩٥.
(3) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ٢٦.
(4) استراتيجيات الخطاب ٢٨٨.
(5) ينظر: اجتهادات لغوية ٢٢٦.

تُمكِّن المتكلم من استعمال الوحدة اللازمة والمعبرة عن الموقف والمقام في العملية التخاطبية الأدائية وعلى وفق ذلك جاء تفسير البغوي رحمه الله.

٣- اسماء الإشارة (اسم الإشارة تلك).

من الإشاريات التي يغلُبُ استعمالها في النظام اللغوي للمحسوسات أسماء الإشارة، يقول الرضي: "الأصل... ألا يُشار بأسماء الإشارة إلا إلى مشاهد محسوس"[1]، بيد أنَّ الاستعمال اللغوي لم يستثنها من الاستعمال الإشاري الذهني، وقد وردت للبغوي مواضع يُفسر فيها اسم الإشارة تفسيرًا ذهنيًا غائبًا عن الإدراك الحسي المعقول.

من ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿يونس: ١﴾، قال البغوي رحمه الله: "أي هذه، وأراد بالكتاب الحكيم القرآن، وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال ﴿تِلْكَ﴾، وتلك إشارة إلى غائب مؤنث"[2].

يُفسر البغوي الإشارة من منطلق حسي على الأصل بقوله: "أي: هذه" كأن يقول المراد بـ"(تلك) التي للبعيد (هذه)، أي: هذه الآيات التي في الكتاب العزيز وهي بين أيديكم ثمَّ قال: "وأراد بالكتاب الحكيم القرآن" هذا أصل استعمال أسماء الإشارة، فإن خرج استعمالها عن المسار الأصلي في لغة العرب "فأشير بها إلى محسوس غير مشاهد نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ ﴿مريم: ٦٣﴾، فلتصييره كالمشاهد"[3]، ومما هو معلومٌ أنَّ القرآن الكريم نزل على لغة العرب.

ثمَّ يرجع البغوي رحمه الله فيفسرها تفسيرًا ذهنيًا متكئًا على الدلالة التي ورد عليها اسم الإشارة فينقل قولًا يراد به ذلك وهو: "وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال ﴿تِلْكَ﴾ وتلك إشارة إلى غائب مؤنث" فتلك في الدلالة اللغوية

(1) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٧٢.
(2) معالم التنزيل ٤/ ١١٩.
(3) شرح الرضي على الكافية ٢/ ٤٧٢.

وُضعت للإشارة إلى بعيد[1]، فكأنَّه ينظر إلى مرجع الإشارة من منطلق الإشارة الذهنية ذات النزعة العقلية المتجردة عن المحسوسات القريبة، ويربطها بما يضاهيها في المحسوس القريب (آيات القرآن الكريم)" باعتبار حضور تلك الآيات في أذهان الناس من المؤمنين وغيرهم، فكأنَّها منظورة مشاهدة فصحَّت الإشارة إليها إذ هي مَتلُوَّةٌ محفوظةٌ فمن شاء أن يسمعها ويتدبرها أمكنه ذلك؛ ولأنَّ الخوض في شأنها هو حديث الناس في نواديهم وأسمارهم وشُغلهم وجدالهم، فكانت بحيثُ تتبادر إلى الأذهان عند ورود الإشارة إليها، واسم الإشارة يُفَسِّرُ المقصود منه خَبَرُهُ وهو ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿يونس: ١﴾.

وهذا مطَّردٌ في عموم الكتاب العزيز[2] وفهم الأذهان العربية للمراد منه، من ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى على لسان الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ ﴿الكهف: ٧٨﴾، قال الزمخشري رحمه الله: "فإن قلت: هذا إشارة إلى ماذا؟ قلت: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام"[3]، أي: فراقٌ سيقع قريبًا فأشار إليه بهذا[4] التي تستعمل لإشارة القريب في النظام اللغوي[5].

(1) ذا / لإشارة القريب؛ لتجردها من قرينة تدل على البعيد و(تي) على بابها، فإن أريد الإشارة إلى بعيد جيء بكاف الخطاب (ذاك)، علامة على تباعد المشار إليه، فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام مع الكاف فقالوا (ذلك) واستُفيد من اجتماعهما زيادة في التباعد؛ لأنَّ قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى. ينظر: شرح المفصل ٣/ ١٣٥.

(2) من ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ ﴿الروم: ٥٦﴾ وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿الأنعام: ٨٨﴾.

"فالمقصود من الإشارة إمَّا الحث على النظر في آيات القرآن لِيَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ من عند الله وَيَعلَمُوا صدق من جاءهم بِهِ، وَإِمَّا إِقنَاعُهُم من الآيات الدالة على صِدقِ النبي صلى الله عليه وسلم بآيات الكتاب الحكيم" وهي دلالة على علو المنزلة، التحرير والتنوير ١١/ ٨١.

(3) الكشاف ٢/ ٧٤٠، وينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٨١.

(4) ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٨١.

(5) ينظر: شرح المفصل ٣/ ١٣٥.

ثانيًا: الإشاريات الزمانية والمكانية.

تأتي ألفاظ الزمان والمكان عند النحاة العرب تحت مسمى المفعول فيه[1]، ويسميها البصريون الظروف[2]؛ لأنَّها كالإناء لذا سماها بعضهم(أوعيةً) وبَعضهم (محالَّ)[3]، وهي تسمية مجازية لها غاية وظيفية إذ الظرف هو الوعاء ذو الحدود المتناهي الأطراف[4]، فتقييدها بالتسمية جاء لتحديد المدى الزماني والمكاني؛ "لأنَّ الأفعال تقع فيهَا وتحلُّها"[5] لذا يخرج عن الظرفية عندهم الاسم (الزماني والمكاني) إن لم يتضمن معنى (في) في حدوثه كقوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ ﴿البقرة: ٤٨﴾، فيومًا ليس ظرفًا؛ لأنَّ التقوى لم تقعَ فيه، بل قبله فلم يكن ظرفًا يحتوي فعل الاتقاء، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿مريم: ٣٩﴾، يوم الحسرة هو يوم القيامة ولا يعد ظرفًا؛ لأنَّ حدث الإنذار ليس فيه[6]، فإذا لم تتحدد أطراف المدى الزمكاني الذي يقع فيه الحدث لم يُعدَّ ظرفًا.

وعلى هذا فإنَّ الإشاريات الزمانية والمكانية وحدات لغوية لها شروط أساسية لمعنى الظرفية وهي: (تضمن معنى (في)، وتحديد المدى (المقدار) في الزمان والمكان، وعدد الأزمنة والأمكنة)[7] يقول د. فاضل صالح السامرائي: "لذا نرى أنَّ الأولى أن يُحدَّ الظرف بما يأتي (اسم فضلة يدل على زمان، أو مكان وقوع الحدث، أو مقدارهما، أو عددهما)"[8]، وهي شروط أساسية اتخذها النحاة لتقنين المقادير في الإشارة الزمانية والمكانية وبالتالي الوصول إلى قصد المتكلم في استعمال تلك الألفاظ وهذا هو لب التداولية.

(1) ينظر: المقتضب ٣/ ١١٦، والأصول في النحو ١/ ١٩٠.
(2) ينظر: معاني النحو ٢/ ١٧٧.
(3) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٧١، شرح المفصل ٢/ ٤١.
(4) ينظر: معاني النحو ٢/ ١٧٧.
(5) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٢٧١.
(6) ينظر: معاني النحو ٢/ ١٧٨.
(7) ينظر: معاني النحو ٢/ ١٨١ – ١٨٢.
(8) معاني النحو ٢/ ١٨٢.

أ- الإشاريات الزمانية.

هي ألفاظ تدل على وقت حدوث الفعل، ويلعب السياق دورًا مهمًا في تحديد أزمنتها، فضلًا عن مركز الإشارة المتمثل بمعرفة لحظة التلفظ بها، إذ تَعدُّ لحظة التلفظ المرجع لهذه الألفاظ لذا يجب ربط زمن اللفظة بالفعل ربطًا قويًا من جهة ومن جهةٍ أخرى ربط زمنها بالفاعل لأهميته الكبرى، من هنا توجب على المتلقي إدراك لحظة التلفظ ليجعلها مركزًا أساسيًا كونها (المرجع)، فيؤول عليها مكونات التلفظ اللغوية للخطاب بناء على معرفتها[1]، فإذا لم يُعرف زمان التكلم، أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على المتلقي فقولك: بعد أسبوع يختلف فيها المرجع إن تم قولها اليوم عن قولها بعد شهر، أو سنة، وكذلك قولك: نلتقي الساعة العاشرة فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان القصد من الساعة العاشرة صباحًا، أو مساءً من اليوم، أو اليوم الآخر[2].

وللإشاريات الزمانية ألفاظ دالة عليها منها: (أمس، والآن، وغدًا، وذلك العصر، وذلك الوقت، ويوم الجمعة، ويومئذٍ، والأسبوع القادم...)[3]، ولكل لفظ من هذه الألفاظ آنيته[4] الدالة على وقته اللازم له، ولا تتضح إلا بالإشارة إلى زمن معين، فضلًا عن إدراك لحظة التلفظ والسياق الذي ترد فيه[5]، هذه القرائن الثلاثة هي المرتكزات الأساسية لتحديد المعنى الذي تجمله تلك الإشاريات.

ومن ألفاظ الإشاريات الزمانية التي جاءت في تفسير البغوي رحمه الله ما يأتي:

١- (اليوم).

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٣.
(2) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر١٩.
(3) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢٠، والمعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية ١٠٥.
(4) ينظر: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ٧٢.
(5) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر٢٠.

النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ المائدة : ٣ ﴾ .

قال البغوي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ، يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء ، فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت"[1] .

بيَّن البغوي رحمه الله مرجع الإشارة الزمانية بناءً على معرفة لحظة التلفظ ، واعتمد في ذلك على الأحاديث الوارد ذكرها في تفسير الآية ، وذلك قوله : "أخبرنا عبد الواحد... عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ، قال : أيَّة آية؟ قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ ، فقال عمر رضي الله عنه : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ، أشار عمر رضي الله عنه إلى أن ذلك اليوم كان عيدًا لنا[2] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : كان في ذلك اليوم خمسة أعياد : جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده"[3] .

وبعد معرفة مركز الإشارة أولَ عليه مكونات التلفظ اللغوية للخطاب بقوله : " ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يعني : يوم نزول هذه الآية ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام ، فلم ينزل بعد هذه

(1) معالم التنزيل ٣/ ١٢.

(2) والحديث في صحيح البخاري ، باب قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، رقم الحديث ٤٦٠٦ ، ٦/ ٥٠.

(3) معالم التنزيل ٣/ ١٣.

الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض"[1]، إذ يرى في لفظ الإشارة الزمانية (اليوم) في سياقها إحالة إلى زمن توقف الوحي؛ لأنَّ الدين آنذاك أخذ طابعًا كماليًا.

وقد يستغرق الحدث(الفعل) في الحمولة الدلالية في الإشاريات الزمانية المدة الزمانية كلها كأن يقال: اليوم الأثنين فيستغرق الحدث مدة اليوم كله، وقد يستغرق الحدث جزء من المدة الزمانية في اليوم كأن يقال: ضرب زيد عمرو اليوم، فالضرب حدث في جزء من اليوم لا كله[2]، من هنا يمكن القول: إنَّ الحدث في ذلك اليوم كان في جزء منه لا كله، ومراد اللفظ (اليوم) جاز أن يراد به (الآن) أي: زمن الحال، وهذه من سنن العرب في لغتهم أنهم يطلقون (اليوم) على الحال، و(الأمس) على الماضي، و(الغد) على المستقبل[3]، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى (الطويل):

❖ وَأَعلَمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبلَهُ... وَلَكِنَّنِي عَن عِلمِ مَا فِي غَدٍ عَمِيْ

فهو يرى أنَّ الإنسان في الحياة هذه يعرف الحاضر الذي يعيشه، والماضي الذي مر عليه لكنه يجهل المستقبل[4] فالشاهد أنَّه أطلق لفظ اليوم وأراد به الوقت الحاضر، ولفظ الأمس وأراد به مطلق الماضي، والغد وأراد به مطلق المستقبل.

وعلى ذلك فإنَّ قول البغوي رحمه الله "يوم نزول هذه الآية" إشارة إلى اللحظة الآنية (الوقت الحاضر) للحدث في ذلك اليوم لا اليوم كله.

٢- (سنة).

لفظة سنة من الظروف التي تدل على "مدة، أو مقدار زمان الحدث"[5] وقد وردت عند البغوي رحمه الله على نحو ذلك في قوله تعالى: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ

(1) معالم التنزيل ٣/ ١٣.
(2) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢٠.
(3) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ١٠١.
(4) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح علي حسن فاعور ١١٠.
(5) معاني النحو ٢/ ١٨٢.

وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿الروم: ١—٥﴾.

قال البغوي رحمه الله: "﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى السبع وقيل ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما دون العشرة... وقالوا نزلت حين أُخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارسًا"[1].

يشير البغوي رحمه الله إلى لحظة التلفظ التي تعد المركز الأساس في الإشاريات الزمانية حين ذكر وقت نزول الآية على النبي ﷺ، وهذه إشارة إلى المدة الزمانية التي كانت بين الروم وفارس حين عادت الروم الكرة على فارس فغلبتها[2]، وقد تعامل البغوي رحمه الله مع اللفظة تعاملًا إشاريًا وهو يحدد الفترة الزمنية التي وقع فيها الحدث، حيث ربط بين اللفظ الإشاري (سنين) مضافًا إلى لفظ (بضع) من جهة، وبين اللفظ الإشاري الزماني وبين الفاعل وهم الروم من جهة أخرى فأوَّل عليها مكونات التلفظ اللغوية للخطاب بناء على معرفتها[3]، من هنا ينطلق البغوي رحمه الله في تفسير المعنى العام للآية بعد أن حدد مركز الإشارة يقول: "ومعنى الآية آلم غلبت الروم فارسًا في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، يغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم"[4].

ويرى البغوي رحمه الله أنَّ لفظ البضع من الثلاث إلى السبع. وهي لفظة قد تطول وتقصر، لذا ذكر الأقوال المتباينة في إيراد زمانها وهو يقول: "وقيل ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما دون العشرة" وهذا منطلق تداولي فهم يرون أنَّ الدال الزماني قد يستغرق المدة الزمانية كلها، وقد يقتصر الحدث على فترة زمنية جزئية منه كأن يقال: ضرب زيد عمرًا يوم الخميس فالضرب كان في جزء من يوم الخميس لا اليوم كله[5]، وقيل: ظهرتِ الرُّوم على فارسَ عند رأسِ سبعِ سنينَ من مناحبتهم[6]، وعلى ذلك فإنَّ

(1) معالم التنزيل ٦/ ٢٦١.
(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧/ ٤٩.
(3) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٣.
(4) معالم التنزيل ٦/ ٢٦١.
(5) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢٠.
(6) ينظر: معالم التنزيل ٦/ ٢٦٠، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧/ ٤٩.

الحدث وقع على ما جاء في قول البغوي رحمه الله في تحديد زمن اللفظة، ومما لاشك فيه أنَّ الحدث وقع في جزء من تلك المدة الزمانية لا كلها وإن لم ينوه البغوي رحمه الله على ذلك؛ لأنَّه من البديهيات المتبادرة إلى الذهن فقد اكتفى بذكر المدة الزمانية التي يمكن أن تشغلها اللفظة مضافة إلى (بضع) فوقع الحدث في آخرها كما قيل، هذا في تحديد الجزئية أمَّا الحدث العام فقد شغل المدة أو المقدار الزماني بين الغلبتين أي: خلال هذه (البضع سنين) بقيت الحرب سجال بين فارس والروم.

ولعل حكمة إبهام عدد السنين في مثل هذا، أنَّه مقتضى حال كلام رب العالمين العظيم، الحكيم أنَّه سبحانه يقصر على القصد إجمالًا دون التفصيل؛ لأنَّ التفصيل يأتي بمنزلة الحشو عند أهل العقول الراجحة وليكون للمسلمين رجاء في مدة أقرب مما ظهر ففي ذلك تفريج عليهم[1].

٣- (أمس).

قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿القصص: ١٨﴾.

قال البغوي رحمه الله: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾، يستغيثه ويصيح به من بُعد، قال ابن عباس رضي الله عنه: أتي فرعون فقيل لهَ: إنَّ بنَي إسرائيل قتلوا منا رجلًا فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضي بغير بيِّنة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيِّنة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيًا فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، قال له موسى، للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلًا فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخَر وتستغَيثني عليه؟"[2].

اعتمد البغوي رحمه الله قول ابن عباس رضي الله عنه في إيراد بيان قصة القتل الواردة في النص الكريم ولم يتطرق إلى بيان مرجع الإشارة الزمانية (أمس)، إنَّما اكتفى ببيان الحدث فيه

(1) ينظر: التحرير والتنوير٢١/ ٤٤.
(2) معالم التنزيل ٦/ ١٩٨.

ولم يُحدث ذلك التباسًا في العملية التخاطبية كغيرها من الإشاريات، وهذا ما عُرف عند التداوليين بـ(الإشاريات القصدية أو الإشاريات الآلية) وهي تلك الألفاظ التي تفيد ما تشير إليه بشكلٍ آلي كقولك: كنت أشعر بالنوم البارحة، فلفظ البارحة يشير بشكلٍ آلي إلى اليوم الذي يقع قبل يوم التلفظ وليس هناك مجال لقصد المتكلم لتحريك الدلالة المتوقعة من إشارة البارحة[1].

ب- الإشاريات المكانية.

تعد الإشاريات المكانية من العناصر الإشارية التي تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم ووقتهِ، أو على مكان آخرٍ معلوم لدى المخاطب أو السامع، ولتحديد المكان أثر في تحديد العناصر الإشارية إليه قربًا، أو بعدًا، أو وجهةً ثمَّ الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة للمكان فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي تقال فيه[2]؛ ولأنَّ المرسل لا ينفك عن استعمال المكان عند تلفظه بالخطاب مما أعطى الإشاريات المكانية أحقية إسهامها في الخطاب، الأمر الذي أعطاها الأهمية في بناءهِ[3].

ومن أكثر الإشاريات المكانية وضوحًا لدى التداوليين في تحديد مكان القرب والبعد (هذا، وذاك، للإشارة إلى القريب والبعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك الإشارات هنا وهناك وهما من الظروف المكانية التي تحمل معنى الإشارة قربًا وبعدًا من المتكلم وسائر الظروف مثل: الجهات الأربع فوق، تحت، أمام، خلف فهذه كلها عناصر تستعمل في اللغة للإشارة إلى المكان ولا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه[4].

ومن الإشاريات المكانية التي ورد ذكرها عند البغوي رحمه الله والتي يمكن أن تدخل ضمن المحور التداولي عنده ما يأتي:

(1) ينظر: الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي (بحث) ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) ٤٤٤.

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢١.

(3) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨٤.

(4) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر٢٢.

١- (هنا).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿آل عمران: ١٥٤﴾.

قال البغوي رحمه الله: "﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ وذلك أنَّ المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يُقتل رؤساؤنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قُتلنا هاهنا"[1].

في كلام البغوي رحمه الله إشارة إلى المكان الذي قال فيه المنافقون قولهم الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وهي الأرض التي وقعت فيها معركة أحد، دل عليه قرينة الإشارة بقوله: (هَاهُنَا)، فهي كناية عن المكان الحادث فيه الحدث (المعركة)[2]، والقرينة التي اعتمدها البغوي رحمه الله في تحديد موقع المكون الدلالي (هاهنا) بأرض المعركة هي السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه، إذ "الملاحظ أنَّ أدوات الإشارة (ذلك– هناك– هذا) تستدعي مقاصد المتكلم لتحقيق مضمونها الإحالي"[3]، ولقد فهم البغوي رحمه الله الإحالة في المكون الإشاري (هنا) من خلال دلالة القرب فيها الدالة على قرب المتكلم وهم المنافقون من مكان الحدث فلفظة (هاهنا) إشارة مكانية قريبة[4]، والهاء للتنبيه[5]، وهي تدل على الموضع الذي أقيمت فيه المعركة ووقع المنافقون فيه صرعى فقال من بقي منهم قولتهم تلك، من هنا جاءت القيمة التداولية للمكون الإشاري الباعث على

(1) معالم التنزيل ٢/ ١٢٢.
(2) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٣٥.
(3) الإشاريات مقاربة تداولية (بحث) ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) ٤٤٤.
(4) ينظر: النحو الوافي ١/ ٣٢٨.
(5) ينظر: الكتاب ٢/ ٣٥٤، والجنى الداني في حروف المعاني ٣٤٨، والنحو الوافي / ٣٢٨.

الشعور بقرب المتكلم من مكان الحدث ووقتهِ، فأسند البغوي رحمه الله مكونات الخطاب إليه باعتبار تحديد المكان.

٢- (ثَمَّ).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ ﴿الإنسان: ٢٠﴾.

قال البغوي رحمه الله: وإذا رأيت ثمَّ، أي: إذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثمَّ) يعني في الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيماً ﴾ لا يوصف..."[1].

يُحدد البغوي رحمه الله مرجع الإشارة المكانية اعتمادً على السياق المادي المباشر إذ "الفكر الإشاري هو فكر إدراكي وإحالته مترسخة في السياق"[2]، وتحديد الإشارة المكانية هنا بالجنة عند البغوي رحمه الله؛ لأنَّ المشار إليه هنا جرى ذكره سابقًا وهي الجنة المذكورة في قوله: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾ ﴿الإنسان: ١٢﴾[3]، ويعد السياق القرينة الأساسية والدالة على مركز الإشارَة، ويُعدُّ ذلك منطلقًا تداوليًا فهم يرون أنَّ "الإشاريات طريقة للحديث عن الأشياء ولا تتطلب منا معرفة كثيرة حول الشيء مثل اسمه أو صفته، ولكنها تتطلب منا فقط معرفة العلاقة التي تربطه بنا في سياق التلفظ"[4]، ولاشك معلوم الارتباط هنا بعقيدة المسلم بالثواب في الآخرة (الجنة) أن حسُن العمل، والعكس صحيح كون المدونة في تفسير آيات كتابنا المقدس (القرآن الكريم).

هذه هي الأسس والمنطلقات التداولية في كيفية التعامل مع الإشاريات، وقد بانت واضحة المعالم عند البغوي رحمه الله في تفسيره.

---

(1) معالم التنزيل ٨/ ٢٩٧.

(2) ينظر: الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، (بحث) ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ٤٤٦.

(3) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩٧.

(4) ينظر: الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، (بحث) ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ٤٤٥.

الخاتمة

لقد أفضى بنا بحث الإشاريات التداولية في تفسير معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٠هـ) إلى بعض النتائج منها:

١- للعنصر الإشاري الشخصي نقاط ارتكاز أساسية، تتمثل في كونه يقتضي تحديدًا للمرجع الذي يحيل عليه باعتبار حضوري حسي، أو اعتبار ذهني بحسب متطلبات المقام والسياق الذي يرد فيه، وقد كانت لتلك المنطلقات الحضور البالغ في تفسير البغوي رحمه الله.

٢- عُدت الإشاريات من الأبعاد التداولية كونها من المبهمات التي لا يتحدد معناها إلا في الاستعمال، ولقد كان للبغوي رحمه الله رؤية تفسيرية تداولية في محاولة ربط الرمز الإشاري بما يشير إليه بناء على السياق الواردة فيه كربط الرمز الإشاري المكاني بمكان التلفظ، والزماني بزمان التلفظ.

٣- يعد السياق الركن الأساس الذي تقوم عليه العناصر الإشارية؛ لإبهامها فلا يتحدد مرجعها إلا في تسييقها.

المصادر

– القرآن الكريم.

❖ اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب – القاهرة، (٢٠٠٧م).
❖ الإحالة في نحو النص، أ. د. أحمد عفيفي، (د. ط)، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، (د.ت).
❖ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ت).
❖ استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن مظفر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، (٢٠٠٤م).
❖ الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد– الأردن، (٢٠١٤م).
❖ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، (١٤٢١ه– ٢٠١٤م).
❖ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقق: عبد الحسين الفتلي، (د. ط)، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، (د. ت).
❖ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (د. ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر(٢٠٠٠م).
❖ تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، د. بهاء الدين محمد مزيد، ط١، شمس للنشر والتوزيع، (٢٠١٠م).
❖ التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤ه).

- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، ط١(١٩٨٥م)، ط٢(١٩٨٦م)، ط٣(١٩٩٢م)، المركز الثقافي العربي.
- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، د. محمود عكاشة، ط١، دار النشر للجامعات– القاهرة، (٢٠١٣م).
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، (د. ط)، الأمل للنشر والتوزيع، (د. ت).
- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ط١، دار كنوز المعرفة – عمان، (١٤٣٧هـ– ٢٠١٦م).
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥ه)، تحقيق: أ. د. حسن هنداوي، (د. ط)، دار القلم – دمشق، (د. ت).
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، (١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م).
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، (جزاء ١ – ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م).
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الصبان: أبو العرفان محمد بن علي الشافعي(ت١٢٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (١٤١٧ هـ –١٩٩٧م).

- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط ١، مكتبة الآداب – القاهرة، (٢٠٠٥م).
- ديوان وهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: أ. علي حسن فاعور، ط١، ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (١٤٠٨ه– ١٩٨٨م).
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ه)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قاريوس – بنغازي، (١٩٩٦م).
- شرح المفصل، ابن يعيش: موفق الدين بن علي النحوي(ت٦٤٣هـ)، (د. ط) إدارة الطباعة المنيرية، مصر(د. ت).
- الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، د. عبد السلام السيد حامد، (د. ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (٢٠٠٢م).
- صحيح البخاري، البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق– بيروت، (١٤١٤ هـ).
- فعل القول من الذاتية في اللغة، ك أوريكيوني، ترجمة: محمد نظيف، (د. ط)، أفريقيا الشرق– المغرب، (٢٠٠٧م).
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر/ آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، ط٢، منشورات دار سيناترا – تونس، (٢٠١٠م).
- الكتاب، سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت(١٤٠٧ هـ).

- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، تحقق: د. عبد الإله النبهان، ط ١، دار الفكر – دمشق، (١٤١٦هـ ١٩٩٥م).
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، (د. ط)، دار الثقافة، المغرب، (١٩٩٤م).
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن (١٤٢٩ه – ٢٠٠٩م).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، (د. ط)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٠٩ هـ).
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقق: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، دار الفكر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، ط٢، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان(٢٠٠٧م).
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، (د. ط)، مركز الإنماء القومي (د. ت).
- المقتضب، المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي أبو العباس(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، (د. ط)، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أ. د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (٢٠٠١م).
- النحو الوافي، عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، ط١٥، دار المعارف، (د. ت).
- نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي– بيروت، (١٩٩٣م).
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة: د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب– القاهرة، (١٤١٨ه – ١٩٩٨م).

❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، (د. ط)، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة، (د. ت).

الرسائل

❖ الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير (رسالة ماجستير)، الزهرة توهامي، معهد الآداب واللغات / قسم اللغة والأدب العربي، (٢٠١٠– ٢٠١١م).
❖ مقاربات تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت ٣٣٨هـ)، علاء سامي، (رسالة ماجستير) جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية، (١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م).

البحوث

❖ التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، دلخوش جارالله حسين، مجلة جامعة زاخو، مجلد ٣، العدد٢، (٢٠١٥م).
❖ التداولية امتداد شرعي للسيميائية، أ. عبد الحكيم سحالة، المركز الجامعي – الطارف، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي).